

أحاديث رمضان ١٤٣٥ - خواطر إيمانية - الدرس ( ٢٩ ) : سبب القنوط واليأس والإحباط من تتالي الأزمات والنكسات وتأخر النصر على العالم الإسلامي.  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٤-٠٧-٢٧

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل و الوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات .

### للقصص في القرآن الكريم دلالات كبيرة جداً :

أيها الأخوة الكرام ؛ القصص في القرآن الكريم لها دلالات كبيرة جداً ، والحقيقة التعبير اللغوي إما أن يكون بشكل مباشر ، أو بشكل غير مباشر ، فأنت تقول مثلاً : تكاثرت عليّ المصائب هذا تعبير مباشر ، لكن حينما تقول :

بلاني الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال  
فصرت إذا أصابني سهام تكسرت النصال على النصال

\*\*\*

المعنى الثاني كأول تماماً لكن الأول تعبير مباشر ، والثاني تعبير غير مباشر .  
الآن في هذه الصلاة المباركة قرأ الإمام حفظه الله تعالى في سورة ص قصتين ؛ قصة سيدنا سليمان ، وسيدنا داود ، سيدنا داود حكم بين متخاصمين قال :

﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ \* قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ ﴾

[سورة ص الآية : ٢٣\_ ٢٤]

لم يسمع من الثاني ، الأخ الأول يملك تسعاً و تسعون نعجة يرعاها ، أخوه له نعجة واحدة يرعاها أيضاً ، قال له : أعطني إياها وتفرغ لشيء آخر ، أنا أضمها للنجاج ، فقال له :

﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ \* قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى نَعَاجِهِ ﴾

[سورة ص الآية : ٢٣\_ ٢٤]

المعزى الدقيق من هذه الفقرة أنه كان في خلوة مع الله ، وكان أسعد الناس بهذه الخلوة فلما جاءه المتخاصمان أعطى حكماً سريعاً ، فمعنى ذلك أنت لك حالة مع الله ، وحالة مع الناس ، إذا كانت

حالتك مع الله على حساب حالتك مع الناس فأنت لم تفعل الأولى، هذا ما فعله سيدنا داود، أما سيدنا سليمان فبالعكس .

### ﴿ أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾

[سورة ص الآية : ٣١]

فحالتك مع الناس ضغطت على حالتك مع الله ، معنى ذلك أن المؤمنين إلى نهاية الدوران معرضون لتطرف من هذين التطرفين ، إما مواعيد ، ولقاءات ، وتقارير ، وندوات تلفزيونية، وندوات إذاعية ، ومؤتمرات و كل هذا على حساب صلته بالله عز وجل ، أو ليس له عمل صالح جالس بخلوة مع الله ، هذا خطأ ، وهذا خطأ ، أو الأصح : هذا ترك الأولى ، وهذا ترك الأولى ، أي موضوع التوازن ، والحقيقة التطرف سهل يحسمه أي لسان ، أما التوازن فليس سهلاً . مثلاً تكون قاسياً جداً مع أولادك ، ضرب شديد ، تعنيف شديد ، أو تكون راحياً لهم الحبل هذه أيضاً سهلة ، أما ابنك فيختار معك ، بقدر ما يحبك يخافك ، دائماً الوضع الوسطي يحتاج إلى جهد كبير ، أما التطرف فسهل ، كل إنسان يحسم التطرف ، لكن التوازن ليس سهلاً .

### التوازن يحتاج إلى جهد كبير أما التطرف فسهل جداً :

أيها الأخوة الكرام : القصتان تعنيان الدعاة جميعاً ، أحياناً يكون الداعية ناجحاً جداً بالدعوة ، من لقاء إلى لقاء ، إلى دعوة ، إلى محاضرات ، إلى ندوة ، على حساب شحن نفسه مع الله ، وضعف ، والثاني لا يقدم للناس شيئاً لكن حالته مع الله جميلة جداً ، هذا ترك الأولى ، وهذا ترك الأولى ، سيدنا سليمان :

### ﴿ أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾

[سورة ص الآية : ٣١]

وسيدنا داود :

### ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ ﴾

[سورة ص الآية : ٢٤]

لذلك أيها الأخوة ؛ دائماً التوازن مثلاً نحن في حياتنا اليومية نجد شخصاً ناجحاً جداً في عمله ، لكنه غير مرتاح ببيته أبداً ، شخص آخر ناجح جداً في بيته لكنه بالمجتمع غير ناجح ، البطولة أن تتجح في الموضوعين ، مثلاً كل واحد منا بعمله يرتدي ثياباً نظيفة ، أنيقة ، مرتبة ، وهناك تناسب في الألوان ، وهو لطيف ، يصافح بحرارة ، يبتسم ، يرحب ، يأتي لبيته يكون قاسياً جداً ، ماذا قال النبي الكريم ؟

### (( خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ))

[أخرجه الترمذي عن عائشة]

البطولة في البيت ، في الخارج يوجد رقيب ، و محاسب ، و منتقد ، و متابع ، و إنسان ينقل الصورة السيئة للآخرين ، فأنت تخاف على سمعتك ، ففي الخارج عناية بالغة ، أما بالبيت فلا

يوجد أحد يحاسبك ، أنت أعلى مرتبة بالبيت ، فأنا أقول البطولة بالتوازن بين البيت وبين العمل ،  
والذي قال :

(( خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ))

[أخرجه الترمذي عن عائشة ]

فيجب أن يكون هناك توازن بين الفهم وبين العمل الصالح :

﴿ أَحَبُّتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾

[سورة ص الآية : ٣١ ]

وسيدنا داود :

﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ ﴾

[سورة ص الآية : ٢٤ ]

لم يسمع من الثاني ، أيضاً الصورة تعلمنا التوازن ، أعط كل ذي حق حقه ، كتعبير عن  
الموضوعين .

**الباطل متعدد أما الحق فواحد لا يتعدد :**

أخواننا الكرام ؛ الباطل بالأرض لا يستوعبه عمر الإنسان لأنه متعدد .

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ ﴾

[سورة الأنعام الآية : ١٥٣ ]

جاء الصراط مفرداً والباطل جمعاً ، أي فرقة ضالة استيعابها يحتاج إلى سنوات ، كي تفهم  
منطقاتها النظرية ، و انحرافات العقديّة و السلوكية إلى أن تتطوي ، فالبحث بالتفاصيل بعمق لا  
يكفي ، أما الرد فإذا أمضيت عمرك باستيعاب الحق ، فالحق يستوعب وما سواه الباطل .  
فلذلك إذا الإنسان فهم القرآن ، وتعلم القرآن ، وتعلم سنة النبي العدنان هذا العمر يتسع لاستيعاب  
الحق ، أما الباطل فلا يستوعب .

لذلك قالوا : الحرب بين حقين لا تكون ، مستحيل ، الحق لا يتعدد ، نقطتان ارسم بينهما خطأً  
مستقيماً لو حاولت أن ترسم ألف خط مستقيم بينهما تأتي جميعها فوق بعضها ، الحق لا يتعدد ،  
لكنك تستطيع أن ترسم مليون خط منحن أو منكسر ، فالباطل متعدد ، والحق لا يتعدد، فالحرب  
بين حقين لا تكون ، وبين حق وباطل لا تطول ، وبين باطلين لا تنتهي .

**التوكل و التواكل :**

الآن الموقف الدقيق : هناك أشخاص يتوكلون على الله ، توكل بلا أساس ، هذا يسميه العلماء  
التواكل ، وهناك شخص يأخذ بالأسباب إلى أعلى درجة ويعتمد عليها وينسى الله ، تماماً كالغرب  
والشرق ، الغرب أخذ بالأسباب واعتمد عليها وأهلها ونسي ربه ، والشرق لم يأخذ بها كلاهما

على باطل ، ينبغي أن تأخذ بها وكأنها كل شيء وأن تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء ، أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ثم تتوكل على الله وكأنها ليست لشيء ، لكن تتالي النكسات على الأمة العربية والإسلامية سبب ثقافة مؤلمة جداً ، أنا أسميها سابقاً لا لاحقاً ثقافة اليأس ، والإحباط، والطريق المسدود ، لكن الله رحمننا وأنعمنا نعشات متعددة .

مثلاً : دولة مثل تركيا من دولة علمانية كافرة إلى دولة إسلامية ، هذا انتعاش ، فئة قليلة تنتصر على رابع جيش في العالم ، الآن صار هناك طائرة ، تأتي الصواريخ في أماكن دقيقة جداً ، هذا شيء نحن تفاجأنا به ، هذا أيضاً إنعاش ، و هكذا عندما يعم اليأس ، والقنوط ، والطريق المسدود، والإحباط ، تأتي هذه المنعشات من الله ، وكأنها تقول : يا عبادي أنا موجود ، لا تقلقوا الأمر بيدي .

## الأمر كله بيد الله والإحباط واليأس من الشيطان :

المخلص :

### ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ ﴾

[سورة هود الآية : ١٢٣]

متى أمرك أن تعبه ؟ بعد أن طمأنك أن الأمر كله بيده ، بالمناسبة : لو أسلمك إلى غيره لا يستحق أن تعبه قال لك :

### ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ ﴾

[سورة هود الآية : ١٢٣]

متى أمرك أن تعبه ؟ بعد أن طمأنك ، الأمر بيده لا تقلق ، نحن أحياناً نرى قوة الغرب، وجبروت الغرب ، وذكاء الغرب ، واحتيال الغرب ، ومراوغة الغرب نبيس ؟ لا ، القلق واليأس والإحباط ليس من صفات المؤمن .

لذلك سيدنا رسول الله كان بالهجرة ملاحقاً ، مئة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً ، تبعه سراقه ، تصور حالة إنسان ملاحق ، مهدور دمه ، مئة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً ، يتبعه سراقه يقول له : يا سراقه ، كيف بك إذا لبست سوارى كسرى ؟ ما هذا الكلام ؟ ملاحق ، مئة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً ، وكيف بك إذا لبست سوارى كسرى ؟ أي أنا سأصل ، وسأستقر في المدينة، وسأؤسس دولة ، وسأنشئ جيشاً ، وسأحارب الفرس أكبر دولة ، والروم ، وستأتيني الغنائم ولك يا سراقه سوارى كسرى ، هذا حصل في عهد سيدنا عمر ، جاء به ، وأعطاه سوارى كسرى ثم قال : بخ بخ أعرابي من بني مدلج يلبس سوارى كسرى ؟ هذا وعد الله عز وجل ، لذلك النبي ملاحق ، مئة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً أو حياً قال له : سأنتصر .

فالمفروض بالمؤمن أن يكون متفائلاً ، والإحباط واليأس والشعور أن الطريق مسدود ، و لا يوجد أمل وانتهينا ، هذا كله كلام من الشيطان ، ليثبط الذين آمنوا ، لذلك في معركة الخندق :

﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ  
بِاللَّهِ الظَّنُّونَا \* هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا \* وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي  
قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾

[سورة الأحزاب الآية : ١٠ - ١٢]

### تتالي النكسات سبب ثقافة اليأس والإحباط و لكن نصر الله قريب :

الآن مع تأخر النصر في بعض البلاد ، الناس ضعف إيمانهم ، يقولون : أين الله؟ فلذلك قد يشند البلاء ، ويشند البلاء ، ويشند حتى يقول ضعاف الإيمان : أين الله ؟ ثم يأتي الفرج فيقول الكفار : لا إله إلا الله .

لذلك تتالي النكسات سبب ثقافة اليأس ، والإحباط ، والطريق المسدودة ، الله أنعشنا بإنعاشات كثيرة ، أي الأخبار أحياناً فيها إيجابيات مريحة جداً ، إن شاء الله عز وجل سننتصر على أعدائنا جميعاً ، ويحفظنا الله ، ويحفظ بلاد المسلمين ، ويحقق دماء المسلمين في الشام والعراق وفلسطين، ويجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

### والحمد لله رب العالمين